النقود في حياة الطفل

كتب الدكتور وهيب مسيحة الأستاذ في جامعة القاهرة عام ١٩٥٧ في كتابه (النظرية النقدية) تقديماً لهذه النظرية المعقدة كما يراها البعض بأسلوب قصصي معتبراً إياها شبيهة بما يحصل مع أي طفل. فقال:

لو أردنا فهم الكثير عن وظائف النقود، كان علينا أن نرجع إلى عالم الطفولة، وأن ندرس عن كثب، لماذا يحرص صغارنا على أن يتقاضوا بين الفينة والفينة مجموعة من (الجنيهات البراقة)، أو عدداً من (القروش المخرومة)؟ ولماذا يفتنون بهذه (المليمات) ساطعة البريق أولاً، ثم يتجاوزون ذلك إلى الاحتفاظ بالقروش ثانياً، سواء كانت لامعة أو علاها الصدأ، ثم يتدرجون من ذلك إذا زادت درجة وعيهم، ورَقت مرتبة إدراكهم إلى الاحتفاظ (بأنصاف الفرنكات) و (الشلنات) الفضية في (حصالة)، يجمعون فيها مدخراتهم. ما سر هذه العناية بطلب هذه المسكوكات المعدنية؟ ولماذا هذا الاهتمام بجمعها وادخارها؟

إن غريزة الطفل تقوده إلى الإلحاح في طلب هذه المسكوكات، لأنه يعلم تمام العلم، بأن اقتناءها يفتح أمامه أبواب عالم جديد واسع، يستطيع عن طريقها أن يلجه، ليشبع بنفسه جميع الرغبات التي يعج بها خياله، وتزخر بها أحلامه. وهو على صغر سنه، سريع الملاحظة، نشط البديهة، يتجمع لديه من خبرته، ما يقويّ في نفسه الاعتقاد، بأن النقود تستطيع أن تجلب كل شيء يُراد الحصول عليه، في أي وقت، وفي أي مكان. فإذا حصل على مبلغ من المليمات أو القروش، استطاع أن يحول جانبا منها إلى مختلف أنواع الحلوى أو أنواع اللعب التي يرغب في شرائها. وبممارسة عمليات الشراء بنفسه من المتجر القريب منه، أو المتاجر المتاخمة لمنزله، يجد أن النقود (وسيلة سحرية)، تدنيه من آماله وتقرب له جانباً من المتع التي يعتقد من حقه أن يفوز بها. ولكنه سرعان ما يدرك، أن كل رغبة لها ثمنها الخاص، وأن كل متعة تحمل معها التنازل عن قدر معين من النقود؛ ولهذا فإنه يبدأ في تكوين (سلم تفضيل) يرتب بمقتضاه رغباته وحاجاته، مراعياً في ذلك ما يتقاضاه البائع منه، أو ما يطلبه من نقود. فإذا كانت هناك (دمية)، تستبد به الحاجة لاقتنائها؛ وكان الثمن المطلوب أكبر مما يحمله من نقود، فقد يرى أن السبيل الوحيد للحصول عليها، أن يجمع شيئاً فشيئاً، مما يفوز به من مليمات أو قروش، مبلغاً من النقود يضعه جانباً في حصالته، حتى يتم له المبلغ المطلوب الذي يمكنه من شراء ما يريده.

وهنا يبدأ في ممارسة عملية (الادخار) وفي فهم الوظيفة التي تؤديها، وهي تأجيل المتع التي لا يستطيع أن يفوز بها في الوقت الحاضر إذا

شاء؛ مؤثراً المتعة أو المتع التي لا يستطيع أن يفوز بها في الوقت الحاضر، لضيق ذات يده؛ ولكنه يستطيع أن يفوز بها في المستقبل، لو عمد إلى ضبط زمام نفسه، وحاول أن يقتصد شيئاً فشيئاً مبلغاً من النقود يعادل الثمن المطلوب.

فالطفل إذن يدرك تمام الإدراك، أن النقود، تستطيع أن تشتري أي شيء؛ إذا توافر منها ذلك القدر، الذي يتفق مع الثمن الذي يطلبه البائع. وبمعنى أخر يدرك الطفل أن النقود تمتاز عن أنواع السلع الأخرى، التي تدخل ضمن الدائرة الضيقة لحياته وخبرته بأنها قوة شرائية عامة. وأنها إذا توافرت لديه، دان له ما أراد، وفاز بما اشتهى. ولهذا يطلب الطفل النقود، وبلح في طلبها لغرضين:

- أولهما: أنها تمكنه من الإنفاق الحاضر؛ أي أنها تمكنه من شراء الحلوى واللعب التي يرى شراءها الآن.
- وثانيهما: أنها تمكنه من الإنفاق الآجل، أي أنها تساعده عن طريق الاحتفاظ بها مدة معينة من الزمن، أن يؤجل إنفاقه، ومن ثم أن يؤجل استهلاكه لأنواع الحلوى واللعب، ومن الحاضر إلى المستقبل، فهي بمثابة ثروة لديه، ولكنها تختلف عن أنواع ثرواته الأخرى كاللعب والدمى المختلفة، أو علب الحلوى، في أنها ثروة (سائلة) طليقة، يمكن تحويلها إلى أي شكل آخر من أشكال الثروة. فإذا احتفظ (بسيارة صغيرة)، ثم أراد أن يستبدلها بعد شهر مثلاً بلعبة أخرى. فإنه سوف يجد هذا الأمر متعذراً لديه. لأن هذا النوع من الثروة، وهو السيارة الصغيرة مثلاً، ثروة محبوسة، لا يمكن على الأرجح تغييرها إلى ثروة أخرى.

أما الثروة النقدية، فإنها ثروة لها ميزة السيولة والانطلاق؛ لها ميزة التمتع بحرية التشكيل والتبدل؛ ولذلك فإن أي قدر من النقود يمكن أن يحول إلى أنواع الثروات المحبوسة الأخرى، كالحلوى أو أدوات الألعاب المختلفة.

المصدر كتاب المظرية النقدية للدكتور وهيب مسيحة أستاذ الاقتصاد السياسي في كلية التجارة بجامعة القاهرة، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧، الصفحات ٣-٦.